

الدراسة اللهجية في ظل اللسانيات الاجتماعية

Dialectical Study in the Light of Social Linguistics

طالبة دكتوراه. عماري مباركة

أ.د أحمد زغب

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشهيد حمّة لخضر-الوادي(الجزائر)

mobaraka.ahmed99@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/03/23

تاريخ الإيداع: 2019/11/18

ملخص:

ارتبطت اللغة واللهجة بالمجتمع، لأنه لا وجود للغة أو اللهجة دون مجتمع ولا وجود للمجتمع دون لغة أو لهجة، فاللغة وسيلة تواصل وتفاهم وتفاعل واتصال وحوار بين أفراد المجتمع، وهذا ما جعلها مركز اهتمام الكثير من الدراسات اللغوية، سواء عند العرب أم الغرب منذ القدم، فكانت جلّ دراساتهم تعتمد على دراسة اللغة دراسة لسانية بعيدة تماما عن المحيط الخارجي لها، بالرغم من إشارة العالم السويسري "فردينان دي سوسير" لوجود البعد الاجتماعي للغة كونها مرتبطة بالجماعة اللغوية، ومن هنا طرح التساؤل؛ هل اللغة ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى؟. وإذا كان كذلك هل الدراسات اللسانية الحديثة أثبتت وجود تلك الظاهرة، وفق منهج اللسانيات الاجتماعية؟، الذي أكد على كشفها من خلال العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية.

وانطلاقا من المعطيات السابقة، سنحاول الكشف عن بعض الدراسات اللغوية التي اهتمت بدراسة اللهجة من منظور لساني اجتماعي مُركزين على مستوياتها اللغوية الصّوتية والتركيبية والدلالية وفق المقاربة اللسانية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: اللغة، اللهجة، المجتمع، اللسانيات الاجتماعية.

Abstrac:

Language and dialect have been linked to society, because there is no language or dialect without society and there is no community without language or dialect. Language is a means of communication, understanding, interaction, communication and dialogue between members of society. This has made it the center of attention of many linguistic studies, both among Arabs and the West since ancient times. Most of their studies are based on the study of language, a linguistic study that is far from the outer perimeter, despite the reference of the Swiss scientist "Fardina de Saucer" to the existence of the social dimension of language as being linked to the linguistic community, hence the question; Is the language a social phenomenon in the first place ?. If so, did the recent linguistic studies prove the existence of this phenomenon ?, according to the method of social linguistics, which confirmed the detection through the relationship between the linguistic phenomena and social phenomena.

Based on these data, we will try to reveal some of the linguistic studies that focused on the study of the dialect from a social linguistic perspective, focusing on its phonological, syntactic and semantic linguistic levels according to the sociolinguistic approach.

Keywords: language, dialect, society, social linguistics

مقدمة:

لقد أثبتت العديد من الدراسات والأبحاث اللغوية والاجتماعية الحديثة، أن للجانب الاجتماعي تأثيراً كبيراً على اللغة أو اللهجة المنطوقة داخل المجتمع الواحد، مما يجعل لذلك الأثر بصمته الواضحة على البنية اللغوية التي تظهر عليها تغيرات وظواهر مختلفة على المستوى الصوتي والمورفولوجي والمعجمي الدلالي، ولا يدرك تلك التغيرات أو الظواهر اللغوية إلا الباحث المتخصص في هذا المجال، ومن ثم فاللغة بصفة عامة، واللهجة بصفة خاصة، تتأثر بالظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمع المتفاعل، فتعكس صورة الواقع الاجتماعي على لهجتهم المنطوقة بشكل واضح من خلال كلامهم.

أولاً- مفاهيم أولية:

أ- اللغة:

حسبما ورد في الكثير من المعاجم العربية بأن اللغة لغة هي: «لُغًا في القول لُغُوا: أخطأ وقال باطلاً ويقال: لُغَا فلان لُغُوا: تكلم باللُغو»¹، ومنه فكلمة اللغة في معظم المعاجم العربية تدلّ على

معنى اللغو الخطأ والكلام، أما عن المعنى الاصطلاحي للغة: فقد عرفت بأنها: «نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء جمع معين»² أو مجتمع ما، ومن ثمّ فاللغة وسيلة من وسائل الاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع.

(ب)- اللهجة:

اللهجة من الناحية اللغوية تعدّ: «اللسان، أو طرفه ولغة الإنسان التي جُبل عليها فاعتادها. يقال: فلان فصيح اللهجة، وصادق اللهجة. وطريقة من طرق الأداء في اللغة جرس الكلام»³، كما قال علماء العربية القدماء أن اللغة تعني «لغة تميم ولغة هذيل ولغة طيء التي جاءت في المعجمات العربية لا يريدون بها سوى ما تعنيه كلمة (اللهجة). كما أطلق على اللهجة لفظ (الّلحن)، قال أحد الأعراب: (ليس هذا لحن ولا لحن قومي)، واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى البيئة الخاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»⁴، ولكل لهجة من اللهجات العربية القديمة منها والحديثة خصائصها وصفاتها التي تتميز بها عن غيرها من اللهجات الأخرى، سواء على مستوى أصواتها أم تراكيبيها أم دلالتها، ومن ثمّ فاللهجة ما هي إلا انحراف عن اللغة، وكلاهما (اللغة واللهجة) يشكلان وسيلة تفاعلٍ داخل المجتمع.

(ج)- المجتمع:

عرفت كلمة المجتمع لغويا بمعنى الجمع «(بفتح الجيم أو ضمها): المجتمع. يقال: ضربه بجمع (بفتح الجيم أو ضمها): يده: ضربه بها مقبوضةً. ويقال: أعطاه من الدراهم جمع (بفتح الجيم أو ضمها) الكف: ملاًها، ويقال أخذ بجمع (بفتح الجيم أو ضمها) ثيابه: بمجتمعها»⁵؛ أي جمع الشيء لبعضه بعضاً. وفي الاصطلاح يرى بعض العلماء أن كلمة المجتمع تطلق «على أي مجموعة من الناس تربط بينها صلات ومصالح دائمة فقد رأوا أنّ الأسرة مجتمع والعشيرة مجتمع، والقرية مجتمع والطائفة المهنية مجتمع، والطائفة الدينية مجتمع»⁶، ويسير هذا المجتمع وفق قواعد ونظم تجمع بعضهم ببعض.

(د)- العلاقة بين اللغة والمجتمع:

إنّ الباحث المتتبع للغة أو اللهجة يجد أنّها ذات «نشاط اجتماعي، من حيث أنها استجابة ضرورية، لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً»⁷، ولهذا السبب نجد أن العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة: «متلازمان وملتحمان وجوداً وعدماً، كل يعطي ويأخذ، ويقدر ما يكون الأخذ والعطاء يكون نصيبهما من مدارج التأثير والتأثر»⁸ بعضهما في بعض، وبهذا فاللغة أو اللهجة

هي: المرأة العاكسة للظواهر الاجتماعية الموجودة داخل المجتمع، وبالتالي فالعلاقة بينهما علاقة ترابط وتماسك لا يمكن الفصل بينهما.

(و)- اللسانيات الاجتماعية:

لقد أكدت الكثير من الدراسات اللغوية الحديثة، بأنه لا يمكن دراسة اللغة أو اللهجة بمعزل عن العلوم الأخرى، وذلك بكونها مرتبطة بالمحيط الاجتماعي الموجودة فيه؛ أي المجتمع فاتجهت جلّ الدراسات اللسانية لدراسة اللغة وفق منهج اللسانيات الاجتماعية الذي يكشف عن مدى التفاعل الموجود «بين كلّ من اللغة والمجتمع وتأثير كل منهما في الآخر معتمدا على مبادئ كل من علم اللغة وعلم الاجتماع، وهذه الدراسة توضّح العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع ونظمه وتركيبه والبيئة الجغرافية والمدنية في مختلف الظواهر اللغوية»⁹، وبهذا فعلم اللسانيات الاجتماعية أو علم السوسiolسانيات أو علم اللغة الاجتماعي علم حديث النشأة يهتم بدراسة اللغة أو اللهجة وعلاقتها بالمجتمع؛ أي يركّز على مواطن التأثير والتأثر الموجودة بين اللغة والمجتمع.

ثانيا- اللهجة ظاهرة صوتية في ظلّ المقاربة الاجتماعية:

لقد نظر أهل اللغة إلى اللهجة من الناحية الصوتية من زوايا مختلفة، تمثلت في ظهور عدّة ظواهر صوتية كظاهرة الإبدال والإمالة والإدغام والتبر والتنغيم وغيرها، فمن تلك الدراسات نجد مثلا: لهجة أهل الحجاز يبدلون «الواو من التاء في قولهم: (وُحِدْتُ) بدلا من (اتَّخَذْتُ) وتقول تميم (اتخذت)»¹⁰، أما في اللهجة العراقية الحديثة فيبدلون الهمزة واوا كقولهم في «مخاطباتهم اليومية، في أمثال أين=وين، أنين = ونين، أكد = وكد، إرث، ورث»¹¹، أما في بعض اللهجات الجزائرية كلهجة الزيبان ببسكرة فقد يبدلون صوت الطاء تاء أو زايا كقولهم: «تُفُلُ في (طفل) وتَأَقَهُ في (طاقة)»¹²، مبررين وجود كلّ تلك الظواهر الصوتية لامثال الأصوات للقوانين الصوتية، كالتسهيل في النطق ومجاورة الأصوات والمماثلة وغيرها.

ويبدو من خلال هذه التماذج لبعض اللهجات المدروسة أن دارسها نظروا إليها من الناحية الفونولوجية بدرجة أولى دون ربطها بالجانب الاجتماعي وما يحيط به، ولكن مع مرور الوقت وتطوّر الدراسات اللغوية تنبّه بعضهم لوجود بعض البحوث والدراسات التي أجريت في «المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها» دور كايم" في أوئل القرن العشرين»¹³، لتتوالى بعدها الكثير من الأبحاث والدراسات في مجال اللسانيات الاجتماعية بالذات التي تثبت بأنّ اللغة أو اللهجة ظاهرة اجتماعية نتيجة لعلاقة التأثير والتأثر بين اللغة والمجتمع.

ومن بين هاته التأثيرات والتأثرات التي تنبّه إليها بعض الباحثين اللغويين الاجتماعيين الغربيين في هذا المجال هو تأثير الطبقة الاجتماعية على الجانب الصوتي، وهذا ما أثبتته "وليام لابون" في دراسته، بأن «التغيرات اللسانية وتبادلاتها من شخص إلى آخر تعود إلى الطبقة الاجتماعية، ومن هنا توقف عند نطق الفونيم الراء (R) في اللغة الانجليزية بمدينة نيويورك منطلقاً من فرضية أساسية هي أن التغير الصوتي راجع إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتهي إليها المتكلم»¹⁴، فأهل الطبقة الاجتماعية الراقية حافظوا وتمسكوا بنطقهم لفونيم الراء (R) ويحرصون على نطقه نطقاً صحيحاً، بينما أهل الطبقة الاجتماعية المتوسطة يحاولون توظيف هذا الفونيم في سياقات تقريبا غير موجودة¹⁵ تماما ولا يهتمون بنطقه نطقاً سليماً وصحيحاً، هذا عن اللغة الأجنبية.

كشفت بعض الدراسات بأن فونيم القاف اشتهر في بعض اللهجات العربية وبالضبط في اللهجة المغربية بين ذوي الأصول المدنية (الحضر) الذين جاءوا إلى الدار البيضاء من مدن عتيقة أو عريقة مثل: الرباط وسلا وفاس ومكناس وغيرها، فنطقوا بعض ألفاظهم بالقاف مثل قنية (حبل) أو قنية (أرنب). في حين ميّزت الكاف اللهجات البدوية بصفة عامّة، فنطقوا ألفاظاً لا تقبل سوى صوت الكاف مثل نكافة (مزينه العروس)¹⁶، ومن ثمّ يتضح أنّ اللغة أو اللهجة تعكس «أثر التفاوت بين طبقات المجتمع»¹⁷، وعلى حسب الاستعمال اللغوي للبدليل الصوتي الذي يكون ذا «منزلة عالية يكثر كلما تحوّل المتكلم من أسلوب عفوي إلى أسلوب مُتأنّ أو رسمي، ويقل كلما قلت درجة التكلف عند المتكلم»¹⁸؛ أي يكون بسيطاً في تعامله، فتكون لغته بسيطة على مستوى الأصوات والتراكيب والدلالة.

ومن بين التأثيرات والتأثرات أيضاً التي تنبّه إليها اللغويون هو التغير الزمني الذي «بعد تغيراً اجتماعياً في أصل نشأته وحدوثه، إذ أنّ التغيرات التي تصيب اللغة من فترة زمنية إلى أخرى هي نتيجة حتمية وإفراز طبيعي لما ينتظمه هذا الزمان أو ذلك من عوامل اجتماعية»¹⁹، فهذا الجانب أثر بشكل أو بآخر على أصوات اللغة ومفرداتها ودلالاتها ويظهر ذلك من خلال انتقال اللغة من جيل إلى جيل آخر، ومما نلتمسه في بعض اللهجات العربية كاللهجة الجزائرية وبالضبط لهجة جيجل من الناحية الصوتية أنّ نطق فونيم الثاء تغير مع مرور الزمن وتوارث الأجيال «استعيض عنه بصوت التاء المعهودة في هذه المناطق، ومن أمثلة نطق الثاء تاء ما يأتي: ثلاثة تنطق ثلاثاً، يحرث تنطق يحرث، الثوم تنطق التوم»²⁰... إلخ، فهذه الأجيال المتوارثة لنطقهم لهذا الفونيم تأثروا بعامل الزمن الذي أحدث بعض التغيرات على مستوى أعضاء النطق لمخارج الأصوات، مما جعلهم يجدون صعوبة في نطق فونيم الثاء فاضطروا إلى نطقه تاء.

كما أن للمكان أو المحيط الاجتماعي تأثيراً كبيراً على الفرد الذي يعيش داخل المجتمع من كل الجوانب اللغوية وخاصةً المستوى الأول الصوت، «فلغة الصحراويين خشنة الألفاظ غليظة الأصوات، فالصحراوي يحتاج إلى صوت مرتفع غليظ يسمع في الفراغ الذي أمامه ويصل إلى ما يريد من أماكن»²¹، لأن أهل البدو أو أهل الصحراء يتميزون في بعض ألفاظهم أو كلماتهم بالأصوات المرتفعة والشديدة والمفخمة، كنطقهم للفظـة «هَذَا هَذَا»²² مثلاً، والتي نطقت في العامية الجزائرية في لهجة وادي سوف، نطق فونيم الذال نطقاً مشدداً ومفخماً فأبدل ضادا، وذلك بسبب تأثر ناطقها بالتساع المكان أو المساحة الجغرافية وقساوة الصحراء وجفافها، مما جعلهم يبذلون جهداً في نطق بعض أصواتهم مشددةً ومفخمةً ومرتفعة حتى يتمكن المتكلم من جلب انتباه المستمع إليه بشكل جيد.

ومما سبق أثبتت بعض الدراسات اللغوية أنّ اللّغة أو اللّهجة لا يمكن أن تدرس دراسة حتمية علمية لذاتها وفي ذاتها فقط، لأنّها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى، وهذا ما أشار إليه "ابن جني" في قوله: «حدّ اللّغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»²³، وبهذا «فاللّغة ليست مجردة من وظيفتها الاجتماعية وليست مجرد أصوات تخلو من الدلالة أيضاً بل الأصوات والدلالة قاسمان مشتركان في وظيفتها الاجتماعية»²⁴، ومن ثمّ فالدراسات اللغوية ركّزت على الجانب اللساني من جهة، ولكن من جهة أخرى لم تغفل الجانب الاجتماعي، الذي أشار إليه "ابن جني" في قوله السابق، وهذا ما تؤكده بعض الدراسات اللغوية الحديثة بالدليل والبرهان بأنّ اللّهجة ظاهرة اجتماعية، وذلك من خلال تأثير الطبقة الاجتماعية على الصوت، كالدراسة التي قام بها الباحث المغربي "الشارقي" على اللّهجة المغربية موضحاً بعض النماذج الخاصة باللّهجة من الناحية الصوتية الاجتماعية.

ثالثاً- اللهجة ظاهرة تركيبية في ظل المقاربة الاجتماعية:

لقد اختلفت الدراسات اللغوية التركيبية في الكثير من اللّهجات العربية القديمة والحديثة، ولكن كلّ هذه الدراسات بحثت وركّزت على الجانب التركيبي فقط، دون ربطها بالجانب الاجتماعي المحيط بالفرد الناطق بها، فكانت جلّ دراساتهم تتناول التركيب الإسنادي بصفة عامّة سواء أكان جملة اسميّة أم جملة فعلية، وكل ما يتعلق بها من إشارات وضمائر وحركات إعرابية مختلفة.

ومن ثمّ نجد مثلاً قبيلة تستعمل تركيباً أو صيغة ما تختلف عن القبيلة الأخرى، فقد تستعمل إحداها «صيغة فعل وأخرى تستعمل بدلها صيغة فعول كأن يقول أهل الحجاز في ذلك "ماء شرب، بينما أهل تميم يقولون "هذا ماء شروب"²⁵، كما نظروا أيضاً إلى الجملة الفعلية والاسمية والشرطية وغيرها من الجمل في اللّهجة، من حيث نظامها أو بنيتها

التركيبية، فقد «يتقدّم المسند على المسند إليه في اللهجة، وقد يتأخر وهو أمر يخضع للعرف الكلامي، كما يخضع للمواقف والحالات النفسية التي يمر بها المتكلم، فينعكس ذلك على كلامه، وقد يأتي المسند فعلاً أو اسماً، أو وصفاً أو ما شابه ذلك»²⁶، كأن يقول في دراسة لهجة الزيبان بسكرة مثلاً: «وَلَدَلُوْ طُفْلٌ فِي (وُلِدَ لَهُ طِفْلٌ)، الأولاد يَلْعَبُوا»²⁷، فالأولى جملة فعلية والثانية جملة اسمية، يعنى درسوها من الناحية التركيبية فقط دون ربطها بالجانب الاجتماعي تماماً، كما أن الضمائر قد تختلف من لهجة إلى أخرى، ومن ذلك نجد في إحدى الدراسات اللهجية ضمير «نحن يصبح إحنًا أو حنًا أو حتى (نحننا) ... أنتم التي تصبح (نتوما) في اللهجة المغاربية»²⁸، بهذا تختلف الضمائر وغيرها على حسب كل لهجة.

ومن خلال هذه الأمثلة البسيطة لتلك الدراسات اللهجية، يتضح بأن نظرة بعض اللغويين للجانب التركيبي، لم تكن لها علاقة بالجانب الاجتماعي لا من قريب ولا من بعيد، بل نظرهم له كانت نظرة علمية بحتة، على عكس بعض اللغويين الذين ركزوا في دراساتهم على الدراسة اللغوية الاجتماعية بالدرجة الأولى من حيث الفرد المتكلم والمحيط والمجتمع وما يتركه من أثر على مستوى تركيب الجملة، وأكبر دليل على ذلك ما جاءت به بعض الدراسات اللغوية الغربية من خلال تجربة خضع لها بعض الأطفال من وسطين اجتماعيين مختلفين طلب منهم «وصف شريط مرسوم صامت وهكذا أنتج الأطفال المنتمون إلى أوساط محرومة نصًا يكاد يخلو من المعنى دون وساطة الصّور: يلعبون كرة القدم، يقذف الكرة يكسر زجاجا... إلخ، في حين أن الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط ميسورة أنتجوا نصًا مستقلاً: الأطفال يلعبون كرة القدم هذا يقذف الكرة تعبر التافذة وتكسر الزجاج»²⁹.

ومن هنا يمكن التفريق بين النظامين في شكل التعبير من الناحية اللغوية، أي من حيث قواعد النحو والتركيب في الحالة الأولى، فنجد «جملاً قصيرة، تفتقر إلى الروابط مع معجم محدود جداً، لذا يجد أولئك التلاميذ صعوبة كبرى في التعبير. فهم عاجزون عن التعلّم وعن رؤية العالم»³⁰ من حولهم.

وهذا ما نلاحظه في الكثير من اللهجات العربية بصفة عامة واللهجات الجزائرية بصفة خاصة، كأن يقول الفرد أو المتكلم مثلاً "أَرْوَاحُ هَنَا" (نعال إلى هنا)، حيث لجأ المتكلم إلى حذف حرف الجر (إلى) من الجملة، والهدف من ذلك من الناحية اللسانية الاقتصاد اللغوي في الجملة، ليفهم المستمع معناها من خلال السياق، ومنه فإن من الأسباب التي جعلت الجانب التركيبي يتغيّر ويختلف من ناطق إلى ناطق آخر، الاختصار أو «الاقتصاد إلى عوامل دلالية أو لفظية أو سياقية»³¹، بينما ترى الدراسات اللسانية الاجتماعية غير ذلك، وهذا واضح من

خلال المثال المدرج في اللغة الأجنبية، حيث ربطت بين الجانب التركيبي والجانب الاجتماعي موضحة سبب التأثير بينهما الذي تمثل في الطبقة الاجتماعية.

وهذا فمحتويات الجانب التركيبي كضمائر المخاطب والمتكلم مثلا التي تتأثر بالجانب الاجتماعي يجعلها تختلف من لهجة لأخرى، فلوحظ مثلا على اللهجة الأردنية أنه «إذا كان المتكلم والمخاطب قرينين وينتميان للطبقات الدنيا، فإنهما يخاطبان بعضهما بضمير المفرد "أنت" أو "أنت"، أما ضمير الجمع "أنتم" و"أنن"، فإنهما يتداولان بين الأقران في الطبقات العليا وعندما يكون تفاوت بين المتكلم والمخاطب في المستوى الاجتماعي، فإن الأدنى يستعمل ضمير الجمع في حين يستعمل الأعلى ضمير المفرد، وعلى سبيل المثال: لو قال موظف سام لوزيره "كل سنة وأنتو طيبين"، فإن هذا الأخير يرد "وأنت طيب"، وهذا دليل على دنو منزلة الأول عن منزلة الثاني»³²، فالطبقة الاجتماعية أو المستوى الاجتماعي أثر في الضمائر.

ومن ثم فالدراسات الأولى ركزت على الجانب التركيبي من الناحية اللسانية على عكس الدراسات اللغوية الحديثة التي حاولت الربط بين الجانب التركيبي والجانب الاجتماعي، حتى يكشف عن كل التغيرات اللغوية التي تحدث للغة واللهجة وفق هذا الجانب، وبهذا نجد أن «الأصوات و الألفاظ ودلالاتها أكبر قابلية للتغيير من قواعد الصرف والنحو. والنحو بالذات يقع التغيير فيه ببطء شديد، لدرجة أن المثقف العادي لا يكاد يدركه أو أن يعين ظواهره ومواقعه»³³، وبالتالي يبقى الجانب التركيبي أقل تغييرا من الجانب الصوتي والدلالي.

رابعا- اللهجة ظاهرة دلالية في ظل المقاربة الاجتماعية:

ترى الكثير من الدراسات اللغوية بأن اللهجة كاللغة «ظاهرة اجتماعية، يحتاجها الإنسان ليتواصل بها مع الآخرين، ويعبر بها عن مقاصده، ويستغني بها عن إحصار الشيء الذي يتحدث عنه، ولا بد أن يدل على محل احتياجاته، وعلى مقصوده وغرضه، فاستعان باللغة للدلالة على ذلك»³⁴، ومن ثم اتجهت كل الدراسات العربية والغربية لدراسة اللغة واللهجة وفق مناهج لغوية مختلفة ومتعددة، وكان من أبرز المناهج المعتمدة المنهج اللساني الذي درس اللغة في ذاتها ولذاتها، ونسوا أو تناسوا أن اللغة أو اللهجة ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى، تؤثر وتتأثر بالفرد داخل المجتمع وما حوله، ورغم ذلك لا يمكن أن ننكر أن بعض الدراسات أشارت إلى هذا الجانب، ولكن لم تُنظر إليه مباشرة.

نجد مثلا أن بعض الدراسات اللهجية قد تعرضت في الجانب الدلالي لظاهرة التطور الدلالي كلفظة الغفور التي انتقل معناها «من المعنى المحسوس إلى المعنى المجرد ليصير دالا على المغفرة وتعني الستر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم، فلا يكشفها للخلائق»³⁵، كما تطرقت بعض الدراسات اللهجية لظاهرة التغيير الدلالي في حقل الموجودات كتغيير الدلالة من العام إلى

الخاص من ذلك لفظة العدّ التي تدلّ عند لهجة بني تميم عن الكمية الكثيرة وتخصّصت عند بكر بني وائل للتعبير عن القليل، وهذا يؤكد ما ذهب إليه اللّفظ من العام إلى الخاصّ، وتمّ التّفريق في دلالتها عند قبيلتين مختلفتين إلى معنيين خاصين متضادين³⁶.

كما تطرقت بعض الدّراسات اللّهجية أيضا لظاهرة العلاقات الدّلالية كاللتّضاد والمشارك اللّفظي والتّرادف وغيرها، ومما قيل في مجال التّرادف في اللّغة: «الهلع: الحرص وقيل الجزع وقلة الصّبر وقيل الشّره والفعل منه هلع يهلع هلعًا وهلوعًا وهو هلع وهلوع... والهلع في لغة تميم الحزن»³⁷، وهناك ظواهر دلالية كثيرة في العديد من اللّهجات.

وعليه يتضح أن «الدراسات الدلالية غالبا ما تكون ظهرت بسبب تغير في الوضع البيئي أو الاجتماعي أو الثقافي»³⁸، ومن هذا المنطلق أدركت هذه الدراسات نوع العلاقة الموجودة بين اللّهجة والمجتمع من خلال الدّلالة بكل أنواعها الصّوتية والصّرفية والنّحوية والاجتماعية (الدّلالة الاجتماعية)، واعتمدوا في ذلك على السّياق الذي أعطوه قيمة كبيرة في تحديد المعاني وفهم الكلام والسّياق بالمفهوم القديم هو المقام والذي يضم المتكلم والسّامع والظروف والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة في الماضي والحاضر»³⁹.

فالدراسات اللغوية الحديثة ركزت بشكل واضح على العلاقة الرابطة بين اللّهجة والمجتمع من خلال علاقة التّأثير والتّأثر بينهما، فظهرت في أشكال مختلفة، وذلك «كاختلاف النّاس في طبقاتهم وفتاتهم اختلاف مدلول الكلمات في خروجها عن معانيها الأولى، ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللّغة الواحدة من فروق في الخواص النّفسيّة، وفي الشّؤون السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، والرّبية ومناحي التّفكير والوجدان، ومستوى المعيشة، وحياة الأسرة، والتقاليد، والعادات... وما تزاوله كل طبقة من أعمال، وتضطلع به من وظائف، والآثار العميقة التي تركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشغلين بها»⁴⁰.

وعليه اختلفت الحقول الدّلالية لكثير من الألفاظ على حسب المحيط الاجتماعي المنطوقه فيه، فمثلا نجد في حقل ألفاظ الدّلالة الاجتماعية، في اللّغة الفرنسية أنّها «تتوزّع حسب السّلم الاجتماعي، حيث أن الطّبقات الميسورة تستخدم بالأحرى: Toilettes والطبقات المحرومة: Petits Coins... إلخ»⁴¹، ومن هنا ارتبطت الدّلالة اللّغوية بالجانب الاجتماعي فيما يخص السّلم الطبقي للمجتمع، كما تلفظت بعض اللّهجات العربيّة مثلا بأسماء مختلفة لبعض الإناث تحمل دلالتها من محيطها ومن ذلك "رشيدة" و"سعيدة" اسمان يدعوان «للإيحاء بما يكون لها في مستقبل أيامها من سعادة ونضج عقلي»⁴²، ومن ثم أثار الجانب الاجتماعي في المستوى الدّلالي لتلك الأسماء.

ومن الألفاظ التي تحمل دلالة دينية، مثلاً في اللهجة المصرية وفي أشهر عباراتهم يقولون: في القسم «والله العظيم، وربنا، واللي خلقك، والنبي، وحياة النبي، وشباك النبي، والمصطفى والمصحف الشريف»⁴³... إلخ، كلها ألفاظاً متأثرة بالجانب الديني. ومن الألفاظ التي تحمل دلالة ثقافية نجد أن البيئة الجغرافية التي تتميز بها منطقة معينة تكشف عن الطابع الثقافي لها من خلال الإيحاءات واستعمالات اللغوية أو اللهجية الدالة أو العاكسة للصورة الحقيقية للبيئة الثقافية كقولهم: "الإبل" التي تمثل للعرب وغير العرب منذ القدم معلماً ثقافياً للبيئة «العربية الجاهلية فإذا قلنا: The Carpatian Stag فإن المعنى في ذهن المتلقي حيوان نادر معروف بجماله وقوته في جبال الكريات برومانيا»⁴⁴، وبهذا يمثل اسم هذا الحيوان معلماً من المعالم الثقافية التي تتميز بها هذه البيئة الجغرافية.

ومنه فالدراسات اللغوية للجانب الدلالي حاولت أن تدرس اللغة أو اللهجة وفق منظور اللسانيات الاجتماعية، وذلك بتتبعها لبعض اللهجات العربية المختلفة من خلال ألفاظها المتداولة والتي تكشف عن الطابع الاجتماعي لها من خلال اللغة التي تتأثر بالبنية الاجتماعية وينشأ عنها اختلاف في اللهجات من لهجة إلى أخرى ويحدث ذلك «تبعاً لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم، فتكون ثمة لهجة للمتعلمين تختلف عن لهجة الأميين، والمتعلمون يختلفون لهجة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم، وباختلاف مهنتهم، وباختلاف درجة ثرائهم وبسوى ذلك من الأسباب، ولهجة أخرى للطبقة الوسطى، ولهجات الجنود، وللرياضيين، وللنجارين، وللبحارة، ولذي المهن جميعاً»⁴⁵، والذي يكشف عن هذا الاختلاف بين اللهجات هو الدلالة الاجتماعية.

خاتمة:

وصفوة القول إن الدراسات اللغوية سعت لدراسة اللغة أو اللهجة وفق مناهج لغوية متعدّدة، ولكن من بين أشهر تلك المناهج التي اعتمد عليها المنهج اللساني، كالدراسة اللهجية للهجات العربية القديمة "لسهام مادن"، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة "لغالب فاضل المطلي"، واللهجة الداريجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى لـ "بالقاسم بلعرج"... وغيرها من الدراسات الأخرى، بينما المنهج الثاني في الدراسات اللغوية الحديثة اعتمد على ربط اللغة بالمجتمع، متبعين في ذلك منهج اللسانيات الاجتماعية كدراسة اللغة والمجتمع "لمحمود السعران"، وكذلك اللغة والمجتمع "لأحمد ماهر البقري"، واللغة والمجتمع "لعلي عبد الواحد وافي"، واللغة واللهجة "لأحمد الشارفي"... وغيرها من الدراسات المختلفة في هذا المجال الذي أبدعوا فيه من الناحية النظرية، بينما من الناحية التطبيقية تكاد تكون شحيحة مقارنة بالدراسات الغربية، ومن ثم فإن الدراسات العربية تفتقر للجانب التطبيقي كثيراً، وحتى تتضح

صورة اللّغة واللهجة أكثر، بأنّها ظاهرة اجتماعيّة بالدّرجة الأولى، لا بد من المزيد من الدراسات التطبيقية في هذا المجال.

قائمة المراجع:

- 1- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، مادة "ل غ و".
- 2- محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللّغة مفهومه موضوعاته قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 1994، ص: 19.
- 3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "ل ه ج".
- 4- حاتم صالح الضامن: علم اللّغة، مطبعة التّعليم العالي، الموصل، العراق، (دط)، 1989، ص: 32، 33.
- 5- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "ج م ع".
- 6- إسماعيل علي سعد: الاتصال الإنساني في الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (دط)، 2007، ص: 12.
- 7- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص: 126.
- 8- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص: 06.
- 9- البدراوي زهران: مقدمة في علوم اللغة، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص: 212.
- 10- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، (دط)، 2011، ص: 135.
- 11- عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص: 21.
- 12- محمد خان ومختار نويوات: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان بسكرة، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005، ص: 38.
- 13- حاتم صالح الضامن: علم اللّغة، ص: 36.
- 14- جميل حمداوي: اللسانيات الاجتماعية، شبكة الألوكة، الرياض، السعودية، (دط)، 2015، ص: 26.
- 15- ينظر: جميل حمداوي: اللسانيات الاجتماعية، ص: 27.
- 16- ينظر: أحمد الشارفي: اللغة واللهجة مدخل للوسويولسانيات العربية، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب، ط1، 2017، ج1، ص: 121، 122.
- 17- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 130.
- 18- أحمد الشارفي: اللغة واللهجة مدخل للوسويولسانيات العربية، ج1، ص: 122.
- 19- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص: 130.
- 20- بلقاسم لعرج: بلقاسم لعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح "جيجل": مديرية النشر للجامعة فائمة، الجزائر، (دط)، 2008، ص: 23.
- 21- يوسف رمضان: اللغة ظاهرة اجتماعية، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، العدد التاسع، ص: 214.

- 22- أحمد زغب: لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2012، ص: 24.
- 23- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ص: 33.
- 24- عكاشة محمود: علم اللغة، مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص: 93.
- 25- أحمد علام الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، (دط)، 1983، ج1، ص: 609.
- 26- بلقاسم لعرج: بلقاسم لعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح "جيغل"، ص: 246.
- 27- محمد خان ومختار نويوات: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان بسكرة، ص: 81، 82.
- 28- مصطفى حركات: العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الآفاق، الجزائر، (دط)، 1997م، ص: 149.
- 29- لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتي، دار القصة لنشر، الجزائر، (دط)، 1993، ص: 20.
- 30- عبد الكريم بوقرة: اللسانيات الاجتماعية، شبكة الألوكة، الرياض، السعودية، (دط)، 2015، ص: 13.
- 31- مصطفى حركات: العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، ص: 168.
- 32- أحمد الشارفي: اللغة واللهجة مدخل للسوسيولسانيات العربية، ج1، ص: 267.
- 33- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص: 174.
- 34- عكاشة محمود: علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، ص: 92.
- 35- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، ص: 162.
- 36- ينظر: غالب فاضل المطليبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (دط)، 1978، ص: 270.
- 37- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، ص: 172.
- 38- غالب فاضل المطليبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، ص: 258.
- 39- ينظر: هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، جامعة المستنصرية، العراق، ط1، 1988، ص: 82، 83.
- 40- علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ، الرياض، السعودية، ط4، 1983م، ص: 14.
- 41- لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ص: 97.
- 42- أحمد ماهر البقري: اللغة والمجتمع، مؤسسة الشباب الجامعة، الاسكندرية، القاهرة، (دط)، 1983، ص: 50.

- 43- محمود السعران: اللغة والمجتمع رأى ومنهج، مطبعة الأهلية، بنغازي، ليبيا، ط2، 1963، ص: 125.
- 44- أحمد ماهر البقري: اللغة والمجتمع، ص: 121.
- 45- هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص: 166.